



خيبر ذات الحصون والنخيل

عائق بن غيث البلادي

الفصل الأوّل: موقع خيبر وتاريخها

موقع خيبر:

تقع خيبر شمال المدينة المنورة، على نحو (١٦٠) كيلاً. ويشقّ خيبر الطريق المزقّت، بين المدينة المنورة وتبوك. ومنها إلى تبوك نحو (٥٤٤) كيلاً. والطريق التي تمرّ في خيبر تستمرّ إلى تبوك فعمان فدمشق، فألى ترقية.

تاريخ خيبر:

من نافلة القول: إنّ خيبر وجدت بهذا التكوين، منذ أن خلق الله السماوات والأرض. غير أنّ تاريخها الموعغل في القدم لم يصل إلينا إلاّ في إحياءات، واستنتاجات، لم تستند على مصادر موثوقة. فلا شك أنّها كانت تحت نفوذ ثمود قوم صالح عليه السلام، ثمّ دانت للدولة اللحيانية، التي كانت قاعدتها ما يعرف اليوم بالعلا (وادي القرى قديماً) والتي تبعد عن خيبر (١٤٢) كيلاً شمالاً غربياً، ثمّ دخلت تحت

نفوذ العماليق، الذين حكموا الحجاز والشام زمناً طويلاً. وكان من ملوكهم: أبيجاد، وهوز، وحطي، إلى آخر الأسماء، التي اتخذت منها حروف (الجُمَّل). وبعد هذه الدولة أو هذا الشعب (العماليق)، توزّعت (البلاد العربية بين نفوذ الامبراطوريات: الفارسية، والرومانية، واليمنية (في عنفوان التبابعة) ولاشك أن خيبر ظلّت تدين لمن تدين له المدينة المنورة، وأنها كانت جزءاً لا يتجزأ من هذه المنطقة التي تتوسطها المدينة.

طروء اليهود على شمال الحجاز:

في زمن يختلف المؤرّخون في تحديده؛ لأنّه غير موثّق، ويخضع للروايات الإسرائيليّة، طراً على هذه البلاد شعب غريب، هم اليهود. قالوا: إنهم بقايا جيش أرسله نبيّ الله موسى ﷺ، ويروّجون لأمر نبيّ الله. موسى منه براء، ولا نريد إيراده. وقالوا: بل جيش أرسله يوشع. وقالوا: بل هم الفرار من غزوة بختنصر، الذي دمر دولتهم، وسباهم إلى العراق.

والأقوال في هذا الموضوع كثيرة، وإِنّما الذي يهتّمنا هذا القول: إنّ اليهود احتلّوا شمال الحجاز: تبوك، وتيماء، ووادي القرى، وخبير، حتّى استوطنوا المدينة النبويّة، وصاهروا العرب، وراضعوه، وأتقنوا لغتهم، وتسمّوا بأسمائهم.

في عهد رسول الله ﷺ:

أرسل الله رسوله محمّداً بالهدى ودين الحقّ، فأنذر قومه، وبلّغهم رسالة ربّه، ولم يألوا جهداً في نصحتهم، والبرّ بهم، غير أنّ قريشاً منها من آمن ومنها من كفر، ممّا اضطرّ رسول الله ﷺ، إلى الهجرة إلى المدينة المنورة. فوصل إليها في السنة الأولى من الهجرة سنة ٦٢٢ م.

لكن اليهود ناصبوه العدا، وظاهروا عليه كفّار العرب، وتآمروا مع الأحزاب.



فحمل عليهم رسول الله ﷺ بالمؤمنين، فأجلاهم عن المدينة، قبيلة إثر قبيلة، فمنهم من ذهب إلى الشام، ومنهم من انضم إلى يهود خيبر، ونزل معهم، وتناصروا معهم ضد الدعوة الإلهية، ونابذه رجال منهم بالأذى والأشعار الهجائية، فتسلط عليهم العرب بالقتل، بإذن من رسول الله ﷺ.

بدء الحرب مع يهود خيبر:

١ - سرية قتل كعب بن الأشرف:

وبدأت المناوشات مع يهود خيبر بأن انتدب نفر من الأنصار رضي الله عنهم لقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وسبب ذلك أن كعباً كان يحرّض ضد رسول الله ويقول الأشعار الحماسية، ويثير الثارات فدعا عليه ﷺ قائلاً: (اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت) في إعلانه الشرّ وقول الأشعار، ثم قال: من لي بابن الأشرف فقد آذاني؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا به يارسول الله، وأنا أقتله.

فقال: افعل وشاور سعد بن معاذ في أمره.

فقتلوه وحملوا رأسه إلى رسول الله ﷺ وكان مقتله في الرابع عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة^(١).

٢ - سرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع:

ثم سرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري، في شهر رمضان سنة ست من مهاجرة رسول الله ﷺ، قالوا: كان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان، ومن حوله من مشركي العرب، فكثرت شرّه، واجتمع له عدد منهم، فبعث رسول الله عبدالله بن عتيك ونفراً من المسلمين فقتلوه^(٢).

(١) رحلات في بلاد العرب، عن الطبقات، ج ٢، وسيرة ابن هشام ج ٣.

(٢) نفس المصدرين السابقين: ج ٢، ج ٣، وسيرة ابن هشام مج ٣.

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه يمدح هذا الفعل الجهادي:

لله دَرَّ عَصَابَةٌ لاقصبيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
 يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحا كأسد في عرين مغرف
 حتّى أتوكم في محلّ بلادكم فسقوكم خنقاً ببيض دفف

٣- فتح خيبر:

في السنة السابعة للهجرة = ٦٢٩ م في شهر جمادى الأولى^(١).
 ويتوّج صلى الله عليه وآله هذه الأعمال الخفيفة في ظاهرها، القاصمة في نتائجها ظهور
 أعداء الله ورسوله، يتوّجها بفتح عظيم يقضي به على بؤرة الفساد، ويدكّ حصون
 بني صهيون، فلا تقوم لهم بعده قائمة أبداً، فيسير إليهم، في السنة السابعة من
 الهجرة في شهر جمادى الأولى، فحاصرهم وقتلهم حتّى استولى على حصونهم
 وضياعهم، وكانت لهم حصون منيعة إلا من الله، ومن تلك الحصون: النطاة،
 وناعم، وحصون الكتبية مثل: القموص والوطيح وسلام، وقتل منهم عدداً كثيراً
 وسبا وغنم، وتزوّج صفية بنت حيي بن أخطب.
 ويحدثنا ابن هشام: أنّ بعضهم أسلم في المدينة، وأسلم بعضهم في خيبر.
 ويصف مسيره إليهم من المدينة، فيقول: ثمّ خرج في بقيّة المحرم إلى
 خيبر..

واستعمل على المدينة نميلة بن عبدالله اللّيثي، ودفع الراية إلى عليّ بن
 أبي طالب رضي الله عنه وكانت بيضاء.
 ورجز عامر بن الأكوع - بأمر من رسول الله - بين يديه وهو سائر:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا

(١) نفس المراجع السابقة.



إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا
وَأَنزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةَ أَبِينَا^(١)
وَوَثَبَتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقِينَا

فلما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر - وكانت تسمى قرية الحجاز - قال:
اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقلن، ورب الشياطين وما
أضلن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير
ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله، وكان
يقولها ﷺ لكل قرية دخلها.

وصبح رسول الله بجيشه خيبر، فكبر، قائلاً: الله أكبر خربت خيبر، إننا إذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

يقول ابن إسحاق^(٢): ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بواد يقال له الرجيع،
وتدنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالا، ويفتحها حصناً حصناً، فكان
أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة.

قتل مرحب اليهودي (الحميري)

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من
الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون أهل
خيبر افتتاحاً، فحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة.

خرج مرحب اليهود من حصونهم، وهو يقول: من يبارز؟

قال ابن هشام: ومرحب من حمير.

فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قال محمد بن مسلمة: أنا له يارسول الله،
أنا والله الموتور الثائر، قُتل أخي بالأمس؛ فقال: فقم إليه، فقام إليه محمد بن

(١) لم يظهر في هذا البيت جواب الشرط.

(٢) سيرة ابن هشام، غزوة خيبر.

مسلمة ، فقتله .

فخرج بعده أخوه ياسر ، فخرج إليه الزبير بن العوام ، فقتله^(١) .
فاستعصى حصن على الفتح^(٢) ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه ، وهو أرمد ، فتفل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأخ ، يهرول هرولة ، وإننا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . قال : يقول اليهودي : علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجعت حتى فتح الله على يديه .
قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن ابن رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حين بعثه رسول الله ﷺ ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

مصالحة الرسول أهل خيبر:

وحاصر رسول الله ﷺ ، أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم ، وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان

(١) ببعض التصرف عن ابن هشام ، ج ٣ .

(٢) هو حصن القموص .



رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق ونظاة والكتيبة وجميع حصونهم، إلا ما كان من دينك الحصين.

فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مشى، فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأمر لها؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك. فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

قال معدّ البحث: كان صلح أهل خيبر على الثمرة فقط، أما صلح أهل فدك، فكان على الأرض والثمره.

وفي سيرة ابن هشام ٣: ٣٤١: كان فتح خيبر في صفر.

قلت: وهو أقرب إلى الصواب؛ لأنه خرج ﷺ من المدينة في شهر المحرم سنة سبع للهجرة، كما تقدّم.

جلاء اليهود من خيبر:

قال مالك: أوّل من جلى يهود خيبر عمر بن الخطاب، فقال له رئيس من رؤوسائهم: أتجلينا وقد أقرنا محمد؟ فقال عمر بن الخطاب: أتراني نسيت قوله: كيف بك لو قد رقصت بك قلو صك نحو الشام ليلة بعد ليلة؟ فقال: إنما كانت هزيلة من أبي القاسم. فقال له عمر بن الخطاب: كذبت، كلاً والذي نفسي بيده، إنه لفصل وما هو بالهزل.

قال ابن جريج: وأخبرني عامر بن عبدالله بن نسطاس قال: بعث النبي ﷺ عبدالله بن رواحة بن رواحة بن رواحة فخرص بينهم، فلما خيروا أخذت اليهود التمر، فلم يزل بيد يهود حتى أخرجهم عمر بن الخطاب منها، فقالت اليهود: ألم يصالحنا النبي ﷺ على كذا وكذا؟ فقال: إن غدركم ما بدا لله ولرسوله، فهذا حين بدا لي إخراجكم منها. ثم

قسّمها بين المسلمين، ولم يعط منها أحداً لم يحضر فتحها، فأهلها الآن المسلمون ليس فيها اليهود، أي في عهد ابن جريج.

وعن سليمان بن يسار: أن النبي ﷺ بعث عبدالله بن رواحة رضي الله عنه إلى أهل خيبر خارصاً عليهم، فلما جاءهم تلقّوه بالهدايا، فقال: لا أرب لي بهداياكم، تعلمون معشر اليهود ما خلق الله قوماً أبغض إليّ منكم، وما خلق الله قوماً أحبّ إليّ من قوم خرجت منهم، وإني والله لا يحملني حبهم ولا بغضي إياكم أن لا تكونوا في الحقّ عندي سواء.

قال الزهري: فأخبرني عبدالله بن عبيدالله: أن عمر رضي الله عنه بلغه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)، ففحص عمر رضي الله عنه عن الخبر في ذلك حتى وجد عليه الثبوت عن رسول الله ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: من كان من أهل الحجاز - يعني من أهل الكتاب - عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأت به أنفذ له عهده وأقرّه، ومن لا فإنّ الله تعالى قد أذن في إجلائكم - أو بجلائكم - فأجلى عمر رضي الله عنه يهود الحجاز إلى الشام.

عن عثمان بن محمّد الأخنسي، قال: غزا النبي ﷺ خيبر ففتحها الله له، فقال للمسلمين: (إنّ خيبر كانت لمن شهد الحديبية خاصة، وإنّ إخوانكم هؤلاء شهدوا معكم، فألاً تشركونهم؟) وكان قد أدركه بها ركب من شنوءة، فيهم الطفيل بن عمرو، وأبو هريرة، فقال المسلمون: (نعم، افعل يارسول الله، فأسهمهم معهم، وكانت قسّمت نصفين، فكانت الشق ونطاة نصفاً، وكانت الوطيح وسلام ووحيدة^(١) نصفاً، فهذا النصف لرسول الله ﷺ، وكان للمسلمين الشقّ ونطاة.)

عن بشير بن يسار قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ خيبر، قسّمها على ستّة

(١) المؤلف: - أخذ هذا البحث عن تاريخ المدينة المنورة لابن شبة، وحذفنا العنونة اختصاراً، فإن شئت راجع الجزء الأول من المصدر المذكور. ووحيدة هنا صوابها مكيدة، والله أعلم.



وثلاثين سهماً، جمع كلِّ مائة سهم، وعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به، وقسم بين المسلمين الشَّقَّ ونطاة وما حيز معهما، وكان فيما وقف الوطيح والكتيبة وسُلام وما حيز معهنَّ، فلما صارت الأموال بيد النبي ﷺ والمسلمين، لم يكن لهم من العَمَال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النبي ﷺ إلى اليهود، ويعملونها على نصف ما خرج منها، فلم يزل كذلك على عهد النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهما، حتى كان عمر رضي الله عنه، وكثر العَمَال في أيدي المسلمين، وقووا على عمل الأرض، فأجلى عمر رضي الله عنه اليهود إلى الشام، وقسم المال بين المسلمين إلى اليوم.

ومن شأن خيبر: أن النبي ﷺ نزل في وادي السُّرير؛ الوادي الأدنى، وبه الشَّقَّ والنطاة، فبرز إليه أهلها لقتاله، ثم إن الله هزمهم، ثم نزلوا على حصن بني نزار، ففتح الله بغير صلح، وأن النبي ﷺ جعله لأهل الحديبية، ولخيل كانت معه عشرين ومائة فرس، ولامرأتين حضرتتا القتال: امرأة من بني حارثة يقال لها أم الضحَّاك بنت مسعود أخت حُويصة ومُحبيصة، والأخرى أخت حذيفة بن اليمان، أعطى كل واحد مثل سهم رجل. وقدم عليه هناك وفد الطفيل بن عمرو الدوسي، وفيهم أبو هريرة، وذلك حين هاجروا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ خير لم تكن إلا لمن شهد الحديبية) ثم ذكر إعطاء الدوسيين كما تقدّم. وخبير موصوفة بكثرة النخل والتمر؛ قال حسان بن ثابت:

أَفخِرُ بِالكَتَّانِ لِمَا لَبَسْتَهُ، وَقَدْ تَلَبَسَ الْأَنْبَاطُ رِيطاً مَقْصِراً
فَلَا تُكُ كَالعَاوِي، فَأَقْبِلْ نَحْرَهُ وَلَمْ تَخْشَهُ سَهْمًا مِنَ النَّبْلِ مَضْمِراً
فَإِنَّا، وَمَنْ يَهْدِي الْقَصَائِدَ نَحْوَهُ، كَمَسْتَبْضِعُ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْرِ

ونقل البكري: وقال ابن لُقَيْم العبسي في الشَّقَّ ونطاة، وذلك عند فتح خيبر:

رُمِيَتْ نَطَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَلْيِقِ

شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفِقَارِ

وَاسْتَيْقَنَتْ بِالذَّلِّ لَمَّا أَصْبَحَتْ
 وَرَجَالَ أُسْلَمَ وَسَطَهَا وَغِفَارِ
 وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ
 مِنْ عَبْدِ أَشْهَلٍ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ
 صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِ زُرْعَةٍ غُدُوَّةً
 وَالشُّقِّ أَظْلَمَ لَيْلُهَا بِنَهَارِ

عمالة خيبر:

خيبر كما تقدّم في فتحها، وكثافة سكّانها، ويذكر المؤرّخون، ومنهم ياقوت: إنّها ولاية. ومن المؤكّد أنّها كانت تتبع المدينة المنورة عبر عصور الجاهلية والإسلام. ولكن ما بين يدي من مراجع، لا يذكر شيئاً عن ولاية وولاية خيبر. والمعتقد أنّها كانت كأقسام الجزيرة، كان يكتفى منها بالحاصلات الشرعية كالزكاة، ونحو ذلك، وأنّ هذا كان يقوم العظيم المنطقة بموجب شيء معيّن يؤدّيه كلّ سنة. فما استقام به استقام أمره، وسترى فيما يلحق خمول ذكر خيبر، ولم نجد أنّ أميراً من الحجاز، أو من المدينة خاصّة جيّش على خيبر.

ثمّ خبأ ذكر خيبر:

فلم نجد لها - بعد الخلفاء - ذكراً، إلاّ الإمامات لا تكاد ترى. وهذا في نظري، يعود إلى عوامل، منها:

١- وجود خيبر في معزل عن طريق الحجاج، الذين غالب ما ينهب ذكر البلاد التي يمرّون بها، فطريق العراق يمرّ شرقها بعيداً، والدرب الشامي يمرّ غربها، وبينها وبينه جبال وأودية.

٢- إنّها منطقة وعرة، لا يوصل إليها - آنذاك - إلاّ بمشقة، وقد انقطعت ريادة

الريف.



٣- عدم وجود والي لها، يذكره مؤرّخو المدينة، أو تشور بينه وبين أهل خيبر منازعات .

٤- يبدو أنّ أهلها ليسوا سريعين إلى نجدة الأمراء في حالة حربهم كبيشة وزهران، وحرب، وغيرهم، فلم يرد لهم اسم في الحروب. أمّا القبائل فإنّ اسمهم إذا ورد، فإنّما يرد باسم القبيلة لا البلد. حتّى في العهد الحديث، لم يتحرّك اسم خيبر حتّى زارها بعض الدارسين، ومرّ فيها الطريق بين المدينة والشام. بعد إتمام هذا البحث، وردت إليّ معلومات عن بعض ولاية لخيبر، سأثبتها في الأصل .
فَدَك^(١):

هي إحدى القرى المهمّة في منطقة خيبر، ولها نصيب من وصف خيبر، من استولى على خيبر استولى عليها.

قال ابن شبة: بقيت بقيّة من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسيرهم. ففعل، فسمع بذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبي ﷺ خالصة؛ لأنّه لم يوجف عليها بجيّل ولا ركاب^(٢).

وقال ابن إسحاق: لما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر، قذف الله في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر، أو بالطريق، أو بعدما قدم إلى المدينة، فقبل منهم. فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة؛ لأنّه لم يوجف عليها بجيّل ولا ركاب، فهي من صدقة رسول الله ﷺ فالله أعلم على النصف صالح أهلها أم عليها كلّها، فكلّ ذلك قد جاءت به الأحاديث .

(١) تعرف اليوم بالحائط .

(٢) تاريخ ابن شبة ١٠: ١٩٣ .

الفصل الثاني: جغرافية خيبر وسكانها

خيبر محافظة من محافظات المدينة، اليوم. وكانت ولاية من ولاياتها كما تقدم.

تقع خيبر في منطقة جبلية، يتكوّن جلّها من الحرار السود، وفي الشمال عدد من الجبال الشواخ، وتتوسّط قاعدتها قرى الحرّة، المعروفة بحرّة خيبر، وتقع القاعدة، وتسمّى الشُّريف أو قرية بشر، على بُعد (١٦٠) كيلاً من المدينة المنورة شمالاً على الطريق الذاهب إلى الشام.

وتتبعج من هذه الحرار العيون الغزيرة الماء، فتجري في أودية صالحة للزراعة، يغرّس فيها النخيل، وتجدود بالتمر الذي كان يوماً مثوبة للناس في تلك الديار.

تقدّر عيون خيبر بمائة وثمانين عيناً، تسقي نحو ثلاثة ملايين نخلة، عدا زراعات أخر، كان أهمّها الشعير، وقد زرعت اليوم زراعات كثيرة، منها الخضار، لبيعها في المدينة بعد تحسّن المواصلات.

التكوين الجغرافي لخيبر^(١):

١ - الحرّة:

حرّة خيبر حرّة واسعة تتخلّلها الأودية، التي تجعل منها حراراً عديدة ذات أسماء متفرّقة، وتبدأ هذه الحرّة من مشارف الصويدرة والشقرة في الجنوب عند

(١) رحلات في بلاد العرب: ٢١.



طريق المدينة إلى القصيم ثم تمتدّ شمالاً. وكانت هذه تسمّى حرّة النار، فتمرّ بالصلصلة وخيبر، ثمّ شرق سلاح إلى أن تنتهي بضرغط شمال شرقي سلاح وكان القسم الشرقي الشمالي منها يسمّى حرّة ليلي.

وتسيل مياه هذه الحرة في ثلاث جهات:

أ - شرقاً في وادي الرمة. كأودية: الحائط (فدك قديماً) والحويط (بديع قديماً) والحليفة.

ب - جنوباً كأودية: نجار (وادي الصويدرة) والشقرة، ووادي الحناكية (نخل قديماً).

ج - أودية خيبر، وهذه أفردنا لها فصلاً فيما يتبع.

وكانت خيبر سوقاً من أسواق العرب في الجاهلية تحت حماية قبيلة غطفان. وتشمل اليوم مكاناً إدارياً يمتدّ من مشارق الصلصلة جنوباً إلى حفيرة الأيدا شمالاً، وتضمّ في الشرق الحائط والحويط، وغرباً برمة وما حولها.

أودية خيبر:

الأودية الرئيسية التي تتكوّن منها أمانة خيبر^(١) هي ستّة أودية، وهي من الجنوب إلى الشمال:

١ - وادي الغرس: بفتح الغين المعجمة، والراء المهملة: وادٍ يأخذ أعلى مساقط مياهه من جنوب الحرة ومن جبلي أشد ثمّ يتّجه شمالاً. فإذا مرّ عند البحرة المتقدّمة سمي وادي التمد وقد يسمّى وادي الدوم، ثمّ ينحرف غرباً مارّاً بقرية زبران جاعلاً الصهباء بينه وبين الشريف قاعدة خيبر، ثمّ يدفع في الجامع حيث تصبّ كلّ أودية خيبر.

٢ - وادي السلمة: وادٍ ليس كبيراً، ينشأ من قرب الطريق، ثمّ يمرّ بين عطوة

(١) قبل نظام المحافظات.

- (الصهباء) جنوباً والشريف شمالاً، وفيه بلدة (مكيدة) ثم يتجه غرباً إلى الجامع .
- ٣- وادي الصوير : أحد الأودية الزراعية الرئيسية، يمرّ تحت الشريف من الشمال آتياً مطلباً من بعيد، وهو كثير العيون والنخيل، وقيل : إن ما يقرب من ٥٠٪ من نخل خيبر هو في هذا الوادي، يذهب مغرباً فيتجمّع بسابقه في الجامع .
- ٤- وادي أبي وشيع : وادٍ يقرب من وادي الصوير في كثرة النخل والمياه سميّ بالقريّة الرئيسية فيه، يقطعه الطريق بعد الصوير مباشرة شمالاً بينها حرّة ممتدّة بامتدادهما من الشرق إلى الغرب، ثمّ يعانق سابقاته في الجامع .
- ٥- وادي المضاويع : قليل القرى والمزارع يقطعه الطريق شمال أبي وشيع، وفي صدره قرية العين ليست بعيدة من الطريق يمينا، لها ذكر في محطّات الطريق قديماً، وهو أيضاً يجتمع مع السابقة. وأظنه سميّ لبياض تربته؛ لأنّ الضحية عند العرب البياض أو الضوء .
- ٦- وادي الزهراء : من أطول أودية خيبر مدى ومن أقلّها خصباً، يأتي من الأطراف الجنوبية للجانب متّجهاً جنوباً حتّى يصل إلى بلدة (العشاش) سلاح قديماً، ثمّ يأخذ في الانحراف جنوباً غربياً حيث يقطعه الطريق بين العشاش والشريف، وقد تسمّيه العامّة وادي غمّرة؛ لأنّ جبل غمّرة؛ يشرف على العشاش من الجنوب. ومن روافد هذا الوادي وادياً يمين وجبار الآتي ذكرهما .
- وإذا اجتمعت أودية خيبر في الجامع تكوّن وادي الطُّبُق : وادٍ فحل كثير الروافد تقع فيه آثار برمّة، يستمرّ مغرباً من خيبر حتّى يدفع في وادي الحمض (إضم) ولا صحّة للقول : إنّ هذه الأودية تذهب إلى وادي القرى، أو أنّ مياه الحرّة الغربية تذهب إلى هناك، ولا تقربه كما أشار بعض الباحثين، فجميع المياه المنحدرة من الحرّة غرباً، أو من سلسلة حَجَر الواقعة غرب العشاش، تتحوّل إلى هذا الوادي الفحل ثمّ تصبّ في إضم. ومن تلك الأودية وادي الصحن، الذي يمرّ الطريق به بين خيبر والعلا، أمّا وادي القرى، فأوّل سيول تتّجه إليه من الشرق هي



سيول الهضب الآتي ذكره، والذي يبعد من هنا قرابة تسعين كيلاً.

القرى الرئيسيّة في خيبر:

تتكوّن خيبر من قرى عديدة أهمّها: الشُّرَيْف، وقد تقدّم الحديث عنها، ثمّ أبو وشيع، ومكيدة وزَبْران، والعين، والعشّاش، وسيأتي الحديث عنها. ونظراً لافتراق أودية خيبر في رؤوسها، واجتماعها في مصابها، فقد أطلقنا عليها اسم:

التاج الخيبري

إذا ألقيت نظرة على أودية خيبر ألفتها تشبه التاج في تكوينها، فوادي الغرس - كما تقدّم - يأتي من الجنوب متّجهاً شمالاً ثمّ يعدل إلى الغرب، ووادي الزهراء يأتي من الشمال متّجهاً جنوباً، ثمّ يعدل غرباً وهما يكوّنان طرفي التاج، ووادي الصوير وأبي وشيع يسيران في الوسط فيشبهان رأس التاج، ثمّ وادي السلمة ووادي المضويح وهما كالضلعين القصيرين في التاج، ثمّ تجتمع هذه الأودية جميعها في المجامع كقاعدة التاج.

سكّان خيبر:

كأىّ بلدة عريقة لها ضواحي كثيرة يكون سكّانها مزيجاً من الحضّر والبدو، فالسكّان الذين لهم الاسم والشهرة هما قبيلتا عنزة وبني رشيد، فالأولى تمتلك جلّ نخيل خيبر وتمتدّ ديارها من جنوب خيبر إلى الجنب فتياء ثمّ مشرقة إلى قرب حائل، والثانية تمتدّ ديارها من شمال المدينة شاملة جلّ الحرار حيث لها الصلصلة والبحرة ومازّة شرق نخيل خيبر إلى جبل جرس ثمّ شمالاً شرقياً إلى حرّة ضرغط، مائلة شرقاً على فروع وادي الرمة، ولها هناك الحائط والحويط والحليفة. أمّا السكّان الحضّر في قرى خيبر فجلّهم من السود المولدين.

وإليهم العناية بتلك النخيل كالتأبير والسقي والجداد، فصاروا بيوتاً لها أسماء وأنساب، وأصبحوا يشاركون الملاك في المزارع على نظام المعامر

المعروف في الحجاز .

ونوع آخر كثر في هذا العهد يتكوّن من الوافدين المستوطنين كالتجّار وموظّفي الدولة وغيرهم ، وقد فضّل بعضهم الإقامة الدائمة هنا ، وصارت لهم ضياع وأملاك . وكان خيبر - من قديم الزمن - مشهوراً بحمى الملاريا التي كانت تفتك بالسكّان غير أنّ سود البشرة لديهم مناعة طبيعيّة ضدّ الحمى . وكان العرب الأقدمون إذا أمّ أحدهم خيبر عشر كما يُعشّر الحمار ، اعتقاداً منهم أنّ من يفعل ذلك لا تصبه الحمى ، غير أنّ بعضهم كان يأنف ذلك ويرفضه .

مساحة خيبر:

من السير على هذه الطريق ، واستعلام أهل الخبرة من السكّان . تقدّر مساحة خيبر (المحافظة) بنحو (١٦٠) كيلاً طويلاً ، من الجنوب إلى الشمال ، ولعلّها في نحو (١٠٠) كيل عرضاً من الشرق إلى الغرب ، أي أنّ مساحة محافظة خيبر تقارب (١٦٠٠٠) ستّة عشر ألف كيل .

الفصل الثالث

الآثار في خيبر:

أ - المساجد:

١ - مسجد رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر .

جاء في معجم البكري - خيبر - : مسجد رسول الله ﷺ الذي كان طول مقامه بخيبر يصلّي فيه ، وبني عيسى بن موسى هذا المسجد ، وأنفق عليه مالاً جليلاً ، وهو على طاقات معقودة ، له رحاب واسعة ، وفيه الصخرة التي صلّي إليها ﷺ ، وقد تقدّم فيما أحلناه على معجم البكري . قال ذلك فيما نقله عن السكوني .



- ٢- مسجد عليّ عليه السلام: لا زال ما تلاً يصلّي فيه تحت الحصن ، الذي فتحه عليّ كرم الله وجهه ، والشيعه يزورونه ...
- ٣ - مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بسفح الصهباء ، حيث بنى بصفية مرجعه من خيبر ، وهذا قد اندثر اليوم .
- ٤ - مسجد: لم تبقى إلا آثار ، بجوار سد الحصيد ، ذكر في القرى الأثرية التالي ذكرها ، ولا أعتقد أن له علاقة بفتح خيبر ، ولا زمنه ، وذلك أنه بعيد عن المكان ، الذي جرت فيه المعارك .

ب - الحصون:

الحصون المشهورة في خيبر ، والمعروفة إلى يومنا هذا ، هي :

- ١ - حصن النطاة .
 - ٢ - حصن ناعم .
 - ٣ - حصن الشق .
 - ٤ - حصون الكتبية ، ومنها :
 - أ - القموص .
 - ب - الوطيح .
 - ج - سلام .
 - ٥ - حصن الصَّعب بن معاذ .
- ومن هذه الحصون ، ما هو قائم ، شبه صالح للعمل ، ولكن بأسها واستعمالها أذهب الله منذ افتتاحها .

ج - القرى الأثرية ، والمآثر ، والسدود:

من القرى ذات الأثر في خيبر :

- ١- قرية مكيدة .
- ٢- قرية زبران .
- ٣- قرية الشُّريف نفسها، قاعدة خيبر .
- ٤- هناك كثير من الآثار في جنبات الحرار، وبين الحصون، وبعضها يشبه القرى، ولكن لا تعرف أسماء كثير منها. وهي تحتاج إلى مسح من دائرة الآثار، وتحتاج إلى وجود أدلاء متمكِّنين، يدلُّون الباحث والسائح على الآثار.
- ٥- وغير بعيد غرباً من خيبر: آثار بُرْمة، وهي تابعة لخيبر، وكانت قرية دائرة، فيها آثار المباني وأفلاج العيون، ثمَّ أُحييت في العهد الحالي .
- ٦- قرية سلاح: وتعرف اليوم بالعشاش، كانت دائرة، فأحياها الشيخ فرحان الأيدي، وشيخ ولد علي من عنزة، وعياله فيها اليوم، منهم فهد بن فرحان المذكور، فيها فُلج ظاهرة، يحاولون إحياءها .
- ٧- وهناك ما يمكن أن يسمَّى (قرية أثرية)، ذلكم هو (سد الحصيد) وما حوله من آثار منها: قصر البنت، قلعة مهدّمة، ومسجد، وآثار متناثرة ذكرها سنت فليج في رحلة (أرض الأنبياء) .
- وكلّ هذه الآثار تقع في وادي يسمَّى: وادي الحصيد، أحد فروع وادي التمد، الذي هو جزء من وادي الغرس أحد أودية خيبر الرئيسيّة .

الفصل الرابع خيبر في عصرنا الحالي:

خيبر في العصر الحالي:

أ- المحافظة:

(١) حدودها: تمتدّ محافظة خيبر كما تقدّم من جنوب قرية الصلصلة على



(١١٨) كيلاً شمال المدينة المنورة، إلى ما وراء حفيرة الأدي شمالاً وتقدّمت مساحتها توّاً.

(٢) عدد مراكزها: يتبع محافظة خيبر عدد من المراكز، وأهمّها: مراكز الحائط (فدك قديماً). ومركز الصلصلة، المتقدّمة. ومركز العشاش (سلاح قديماً). ومركز آخر لعلّه في برمة.

ب - الدوائر الحكومية في محافظة خيبر:

محكمة شرعية، وأشرف من وزراء المعارف، وآخر من تعليم البنات، ومندوبية زراعية، وشرطة.

وجميع المرافق التي تعنى بشؤون الناس والأمن.

وبها مستشفى متوسّط، ومراكز صحّية عديدة.

وكلّ دوائرها وقطاعاتها، تراجع فروع الوزارات المختصة في المدينة المنورة.

ج - القرى العامرة:

في خيبر نحو خمسين قرية من أهمّها:

١ - القاعدة (الشريف) فيها جميع الدوائر الحكومية.

٢ - قرية الصلصلة، والمتقدّم تحديدها.

٣ - قرية البحرة، وهم يسكنون الباء، بين الصلصلة والشريف.

٤ - قرية زبران. في وادي الغرس يسار الطريق.

٥ - العشاش: سلاح قديماً.

٦ - الحائط: قرية كبيرة في وادي يذهب إلى وادي الرمة. وغيرها من القرى

التي أخذت تنمو بسرعة.

٧ - الحويّط: يديع قديماً، قرية عامرة شرق الحرّة.

د - الزراعة ونشاط السكّان:

يدلّ ما فيها من المزروعات وخاصة النخيل أنّها بلد خصب كثير المياه، وأنّ

أهلها في الزراعة يتوارثونها كإبراً عن كابر .

(١) أنواع المزروعات: أصل الزراعة في خيبر النخل ، ذلك لبعدها وقلة المواصلات مع المدينة في الزمن السابق ، أمّا اليوم فقد أصبح الزمن بين خيبر والمدينة نحو ساعتين بل أقلّ ، لذا أخذوا يزرعون إلى جانب النخل جميع أنواع الخضار .

(٢) عدد العيون الجارية : يقول أهل خيبر : إنّ بها مائة وثمانين عيناً (١٨٠) لازالت كلّها جارية .

(٣) عدد الآبار الزراعية : لم أجد من أحصى الآبار الزراعية ، غير أنّني في رحلتي إلى هناك قبل نيف وعشرين سنة ، رأيت كثيراً من الآبار في المحافظة (الإمارة آنذاك) وعليها زرائع .

(٤) عدد النخيل : يتوارث الناس ، ومنهم أهل خيبر أنّ بخير ثلاثة ملايين نخلة . ولم أر إحصاءً يركن إليه ، وأعتقد أنّ العدد أقلّ من هذا ، ولكنه كثير كثير .*

* وإذ نحن ننتهي من هذه المقالة القيّمة ، التي حازت على جائزة مؤسسة السيّد أمين مدني الرابعة ، في مكّة المكرّمة عام ١٤٢٢ هـ ، لا بدّ لنا من أن نقدّم جزيل شكرنا وتقديرنا للأستاذ المؤرّخ الشيخ عاتق بن غيث البلادي ، الذي طالما تشرفت مجلّتنا بجزء ثمين من عطائه العلمي الوفير .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثري ساحتنا الإسلامية والعلمية بأمثاله ، وأن يوفّق أستاذنا المؤرّخ لمزيد من العطاء والجهود العلميّة المثمرة .